شهريات

بقلم رئيس التحرير

١ ـ مع رودنسون ودوبريه

اتيح لي ان التقي الشهر الماضي ، في باريس ،بالمفكرين الفرنسيين العالميين مكسيم رودنسون وريجيس دوبريه طوال ساعتين ، بحضور صديقة الطرفين الكاتبة السورية حميدة نعنع .

وقد تجاذبنا في هذا اللقاء اطراف حديث متنوع تناول مؤلفات المفكرين الفرنسيين الاخيرة ومشاريعهما القادمة .

ولم يدهشني في رودنسون اطلاعه الواسع وثقافته العميقة وملاحقته لشؤون الفكر العربي الحديث . فهذه كلها من ميزاته المعروفة منذ وقت طويل . ولكن الذي ادهشني انه ، برغم تقدمه في السن، ما يزال على دأبه في القراءة والمطالعة والانتاج ، مكرسا حياته للثقافة والعلم ، منفقا كل وقته وسط مجموعة كبيرة من الكتب والمجلدات التي أحالت بيته كله في شارع « فانو » بباريس الى مكتبة ضخمة ترودها ارواح الفلاسفة والمفكرين والادباء..

وقد اتفقت مع رودنسون على اصدار ثلاثة كتب له تضم مجموعات من دراساته الاخيرة في الفلسفة والشؤون العربية واليهودية ، تترجم الى العربية ،وتنشرها « دار الآداب » ،حتى قبل ان تصدر باللغة الفرنسية ..

اما ريجيس دوبريه ، فقد وجدته أفتى مما توحيه حياته من نضال وسجن ، ومما توحيه كتبه من معاناة وثقافة عميقة . ولكني لم أكن اتوقع منه هذا القلق الذي يبدو في بعض حركاته العصبية وشروده بين الفينة والفينة .

وبعد ان حدثته عن كتبه التي تترجم اكثرها الى العربية ، ولاقت رواجا واعجابا لدى قرائنا ، طرحت عليه السؤال الذي راودني منذ عرفت اني سألقاه .

ـ أنت المهتم بقضايا نضال شعوب امريكا اللاتينية بحيث خصصتها بأهم كتاباتك ، لماذا لا تجد لديك اية اشارة الى نضال الشعب العربي والى قضيته الاولى : فلسطين ؟

أجاب ريجيس دوبريه ببساطة :

ـ انني لا استطيع ان اهتم بجميع قضايا العالم !

قلت له معلقا :

ـ اننا نحن العرب مهتمون جدا بكل نضالات الشعوب ، ولا سيما نضال شعوب اميركا اللاتينية لانه يماثل نضالنا ضد الاستعمار والامبريالية الاميركية وحليفتها اسرائيل ..

وصمت لحظة قبل ان اضيف :

ـ ولا بد من ان تعرف ان المثقفين عندنا تابعوا بقلق انباء اعتقالك وسجنك بعد ان قرأوا كتاباتك عن كاسترو وتشي غيفارا ، وكتبوا يحيونك على مواقفك ..

وأحسست من تردده بعض الحرج الذي حاول ان يتخلص منه بقوله :

ـ لا بد من ان اعترف بأن اهتماماتي بنضال شعوب الخارج ، كانت ، كما أحس الآن ، على حساب اهتماماتي بقضايا فرنسا بالذات . انني اريد الانصراف الآن الى معالجة الشؤون الفرنسية .

وكنت علمت من صديقته حميدة نعنع انه قد اصبح مستشارا لزعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي فرانسوا ميتران . فتذكرت ذلك حين قلت :

ـ ولكن الا تعتقد يا عزيزي انك تخدم حتى الشؤون الفرنسية خدمة اكبر واسلم اذا اوليت الشؤون العربية اهتمامك ؟

فأقرني ريجيس دوبريه على رأيي ، وصمت لحظة ينظر الى البعيد بعينيه الزرقاوين ، فاقترحت عليه أن يزور لبنان بدعوة من « دار الآداب » التي نشرت كتابين له (١) ، فقال انه يجب ان يزور لبنان لاعتقاده بانه

(١) « ثورة في الثورة » و « دفاعا عن الثورية » .

سيعرف فيه كثيرا من هموم العرب ، فاقررته على ذلك ، واكدت له ان الدعوة قائمة ونرحب باستقباله متى شاء .

وابلغته رغبتنا بترجمة كتابيه الاخيرين « مذكرات برجوازي صغير بين نارين واربعة جدران » و « نقد السلاح » ، فاذن لدارنا بترجمتهما وترجمة سائر كتبه، واقترح ان ننتظر صدور مختصر لـ « نقد السلاح » الذي هو في جزئين ، وأخبرنا انه يكتب رواية جديدة سيوافينا قريبا بنسخة منها .

واتفقت وحميدة نعنع على ان نوثق علاقتنا بريجيس دوبريه ، أملا في ان نكتسب لقضيتنا ضميرا حرا كضميره ، لا سيما اذا استمرت الرياح تجري في فرنسا باتجاه الاشتراكية .

٢ ـ عدد « الويبل الفضي »

تعمل رئاسة تحرير « الاداب » في هذه الفترة على اعداد عدد خاص ضخم بمناسبة بلوغ المجلة عامها الخامس والعشرين .

ويبذل التحرير والادارة كل ما في وسعهما لجعل هذا العدد الممتاز بالمستوى الذي تستحقه المناسبة ...

وقد صمم العدد على ان يكون موضوعه الاساسي: « الفكر العربي الحديث في ربع قرن عبر مجلة الآداب ». وينقسم الى ثلاثة ابواب :

الباب الاول يضم دراسات عن تطور الشعر والقصة والنقد والبحث من خلال المجلة ، كما يضم مقالات عن مواقف المجلة من القضايا القومية والانتاج الفكري في الاقطار العربية والاداب الاجنبية وقضايا حرية الفكر والتعبير واستفتاءات المجلة وابوابها المستحدثة ، الى ما هنالك من أمور تمت الى دور الاداب في حياة العرب الفكرية طوال ربع القرن الماضي .

والباب الثاني يضم « شهادات » يدلي بها كتاب المجلة وقراؤها على امتداد رقعة الارض العربية ويضمنونها آراءهم وانطباعاتهم وذكرياتهم عن «الآداب» والدور الذي قامت به في حياتهم او تطورهم الادبي والفني ، شهادات نريدها موضوعية تحتمل الحديث عن المزايا والمآخذ على حد سواء .

اما الباب الثالث ، فيضم « مختارات » من « الآداب » تشمل نماذج من القصائد والقصص والدراسات والاستفتاءات وسواها من النماذج التي كان لها شأن خاص او دور معين او تأثير ملحوظ في سيرورة الفنون الادبية وتطورها خلال هذه الحقبة من الزمن .

وسنحاول ان ننهي العدد بفهرس عام للاداب في اعوامها الخمسة والعشرين يوضع على اساس علمي حديث ، ويفيد من الفهرسات التي أعدها بعض الدارسين في الجامعات العربية .

وقد تم الاتصال بعدد كبير من الادباء العرب لطلب مشاركتهم في هذا العدد ، وسنتابع الاتصالات ...

ولكننا نعترف منذالآن بأنه سيفوتنا الاتصال بآخرين دون ما ريب .

ونحن نود ، في هذه الكلمة ، ان ندعو جميع اصدقاء « الآداب » ،او حتى جميع اعدائها ، ان كان ثمة اعداء ، ان يشاركوا في هذه المناسبة ، كتابا كانوا ام قراء .

ونأمل ان تبلغنا مشاركاتهم في موعد اقصاه آخر تموز (يوليه) من هذا العام ، حتى نتمكن من اصدار هذا العدد الممتاز في اواخر الصيف القادم ١٩٧٧ .

٣ ـ قضية « الآثار الاولى »

بمناسبة اعادة نشر مجموعاتي القصصية الست في جزئين ، قدمت للجزء الاول الذي يحمل عنوان « اقاصيص اولى » بالمقدمة التالية :

هل يحق لمؤلف ان يحجب عن القراء اثرا ادبيا كف عن ان يمثله ؟

لقد بدأت كتابة القصة وانا لم اتجاوز الخامسة عشرة ، ونشرت لي المجلات والصحف بعض الاقاصيص في الاربعينات ، ثم جمعت هذه الاقاصيص في ثلاث مجموعات هي « اشواق » و « نيران وثلوج » و « كلهن نساء » التي صدرت ، على التوالي ، أعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

وحين خطر لي اخيرا ان أعيد نشر مجموعاتي القصصية الثلاث التي صدرت بعد ذلك ، وهي « الدمع المر » و « رحماك يا دمشق » و « العراء » التي ظهرت على التوالي ، اعوام ١٩٥٦ و١٩٦٥ و ١٩٧٣ ونفدت منذ فترة ، تذكرت تلك المجموعات الاولى التي نسيها القراء ،وكدت أنساها معهم ، فخطر لي ان أعيد نشرها .. ولكني ، اذ رجعت اليها أقرأها من جديد ، أحسست بعدم الرضى عنها ، وحكمت بأنها لا تمثلني بعد ..

بيد اني توقفت عند مضمون هذه العبارة الاخيرة : لا تمثلني « بعد » ... اذن فقد كانت تمثلني من« قبل »، في فترة من انتاجي .. فهل يحق لي أن اسقطها من حساب التطور الفني الذي مر به هذا الانتاج ؟

انني ابتسم الآن لدى قراءتي لكثير من هذه الاقاصيص الاولى..وأحزن أحيانا لما في بعضها من سذاجة او فجاجة ، وأتململ لما في بعضها الآخر من تكلف في الاسلوب وتقعر في اللغة وحشو واطناب ، حتى لأنكر اني انا كاتبها .. ثم اذكر السن التي كتبت فيها ،واذكر الثقافة المحدودة التي رفدتها ، واذكر التجربة الضيقة التي ألهمتها ، فتنشأ لدي القناعة بأنني لا ألتمس المعاذير اذا حكمت بأنها من انتاج الشباب الاول الذي يفتقر الى النضج الحياتي والنضج الفني جميعا ، بالرغم من ان

فؤاد دواره

مأساة لبنان : اعلان دموي بافلاس كل مؤسساتنا الثقافية

احيانا يتجمد القلم في اليد حتى لكأنه عود من الحطب الجاف .. تموت الكلمات على سنه قبل ان تولد، لعجزها عن التعبير عما يجيش بصدر كاتبها .. واي كلمات تستطيع ان تصف تلك المأساة الرهيبة التي عاشها الوطن العربي كله على ارض لبنان خلال العامين الماضيين؟.

ومع ذلك فما اكثر ما كتب وما نشر عن المأساة واسبابها .. من تصارع القوى العالمية الكبرى وخلافات الانظمة العربية .. والتواجد الفلسطيني في الأراضي اللبنانية .. الى العصبيات الطائفية والصراعات الحزبية والطبقية والعقائدية .. اما الذي لا شك فيه فهو ان ما حدث يمثل دليلا لا يدحض على فشل السياسات العربية على كل مستوى ، ونجاح مخططات أعداء العرب من الصهاينة والاستعماريين ومن يلوذ بهم من الرجعيين والانتهازيين العرب ..

وهو في الوقت نفسه اعلان دموي صارخ بافلاس كل مؤسساتنا الثقافية على مستوى الوطن العربي كله ..

وحين نقول « مؤسساتنا الثقافية » فاننا نعني كل الهيئات والاجهزة والقيادات التي تشترك في صياغة عقل المواطن العربي ووجدانه .. لان « الثقافة » ليست مرادفة للفنون الجميلة فقط كما يتصور البعض ، ولكنها « ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والاخلاقيات والقانون والعادات والقدرات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع .. » كما يقول عالم الاجتماع الانجليزي أ.ب. تيلور ، بل لعلها تتسع لتشمل ايضا كل ابداعات الانسان المادية ومكتشفاته وصناعاته ، لما بين جانبي القيم والافكار والماديات من تأثيرات وتفاعلات متبادلة لا يمكن تجاهلها ..

وعلى ذلك فمؤسساتنا الثقافية تشمل كل الهيئات الدينية والعلمية والتربوية والفنية والاعلامية والترفيهية التي تشارك جميعا في صياغة عقل المواطن ووجدانه .

وما من كاتب او مفكر عربي جاد الا وارتفعت شكاته من تهاون هذه الهيئات والاجهزة وقصورها عن الوفاء

الدارس يستطيع بلا عناء ان يجد في هذه الاقاصيص الاولى بذورا لجميع النزعات الواقعية والقومية والاجتماعية التي يجدها ناضجة في اقاصيصي التالية .

ولكن هذه الاقاصيص قد صدرت من قبل ، والقيت بين ايدي الناس ، وتناولها النقاد ، فليس لي حق بعد في ان أحجبها بدعوى اني غير راض عنها . انها من تاريخي الادبي الذي لا أملك ان انكر منه مرحلة ، وأقر مرحلة . فهي اذن ملك القراء والنقاد والمؤرخين .

وأتساءل بعد ذلك : أنى لهؤلاء القراء والنقاد والمؤرخين ان يرصدوا التطور الادبي لكاتب ما اذا لم يتح لهم ان يدرسوا مراحل انتاجه ويقارنوا ويقابلوا بين مختلف آثاره ؟

انني اذن ، في هذه المجموعة الجديدة ، ملق بانتاجي القصصي الاول ، دون اي تعديل ، بين ايدي القراء ، هذا الانتاج الذي يمكن ان يوصف بانه « المرحلة الرومانتيكية » التي تنتهي ، في حساب سن الكاتب ، ببدء « المرحلة الباريسية » ، اذا صح التعبير ، تلك المرحلة التي انتجت أثرا هاما في حياة الكاتب الادبية ، هو رواية « الحي اللاتيني » عام ١٩٥٣ ، والتي ظل تأثيرها واضحا في انتاجه التالي المجموع في « الدمع المر » عام ١٩٥٦ .

وقد رأيت ان اضم المجموعات الثلاث الاخرى في كتاب واحد كذلك ، بحيث يجد القاريء مجموع انتاجي القصصي حتى الآن في هذين الجزئين اللذين يضمان زهاء خمسين قصة .

اما الانتاج الروائي ، فقد آثرت ان ابقي كلا من مراحله الثلاث مستقلا، وهو « الحي اللاتيني » و« الخندق الغميق » و « أصابعنا التي تحترق » ، بالرغم من ان بعض الدارسين يعتبرونه ثلاثية متكاملة » .

سهيل ادريس